النيابة تبدأ متأخرة!

٥

على غير العادة ، بدأت النيابة متأخرة ...

فى العاشرة من صباح الخميس ٨ اكتوبر ١٩٨١ ، افتتح اللواء (مختار شعبان) نائب المدعى العام العسكرى التحقيق .. كان ذلك بعد ٤٥ ساعة بالضبط من وقوع الحادث .. على اعتبار أن الواقعة بالكامل (بما فيها القبض على القتلة والمشاركين) قد انتهت فى تمام الساعة الواحدة ظهرا .

ولا مبرر يذكر لتأخر النيابة طوال هذه الساعات التى تقترب من اليومين الكاملين تقريبا .. وخاصة أن :

١- الجريمة كبيرة . الضحية فيها رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة .

٢- من الممكن أن يكون الهجوم على المنصة بداية لعملية أكبر تهز أركان النظام .

٣- العمل داخل النيابة العسكرية لا يعرف الفرق بين الليل والنهار ولا بين الأيام العادية وأيام العطلات .

٤- النيابة العسكرية فى القوات المسلحة هى المهيمنة على الدعوى العمومية ..... ولرجالها ما لرجال النيابة العامة من سلطات الضبط القضائى .

٥- الحادث وقع فى أرض عسكرية وفى مكان مخصص للعسكريين ، كما قالت النيابة بنفسها فيما بعد أمام المحكمة .

٦- طوال تلك الفترة لم يثبت إبلاغ النيابة العامة .

ويزداد الأمر غرابة عندما نعرف أن النيابة العسكرية لم تجر معاينة مكان الحادث (المنصة) إلا فى نفس ساعة وتاريخ فتح محاضر التحقيق أيضا .. وهو وقت كاف لاختفاء معالم أرض الجريمة بالطبع .. إن المواطن العادى يلاحظ سرعة حضور الشرطة العسكرية اذا ما وقع حادث لسيارة عسكرية أو لفرد من أفراد القوات المسلحة يقوم بمشاجرة عابرة .. فلماذا تأخرت النيابة العسكرية - كل هذا الوقت - فى هذا الحادث الذى لا يمكن أن يهون أحد بشأنه ؟!

ان جهة واحدة من جهات التحقيق المسئولة فى مصر لم يكن لديها ما يفيد الابلاغ عن جريمة قتل رئيس الجمهورية لمدة يومين تقريبا .. فى الفترة من الساعة الواحدة ظهر الثلاثاء ٦ اكتوبر وحتى الساعة العاشرة صباح الخميس ١٠ اكتوبر ١٩٨١ !

وقد بدأ التحقيق بتسجيل بلاغ إدارة المخابرات العسكرية والاستطلاع ، والذى كان بعنوان : (مذكرة بخصوص حادث الاعتداء على السيد / رئيس الجمهورية) .. وقد أرفق مع هذه المذكرة كشف بأسماء القتلى والمصابين فى الحادث .

وتضمن البلاغ أسماء المتهمين الذين قبض عليهم وهم خالد وعطا وعبد الحميد ..... وتضمن اسم حسين عباس مع عبارة أنه (جارى البحث عنه) .. وتضمن البلاغ تلخيصا للحادث .

أخذت هذه الاجراءات – التى كانت بمثابة مقدمة بيروقراطية ضرورية – من النيابة ثلاث ساعات الا ربعا .. وفى الساعة الواحدة و ٤٥ دقيقة بدأ اللواء مختار شعبان ، التحقيق .. بحضور المدعى العام العسكرى .. وكان أول من تعرض للاستجواب العقيد محمد فؤاد حسن – بإدارة المخابرات الحربية .. الذى قال :

« انه تم ضبط خالد وعطا بعد إطلاق النار عليهما عند وصولهما الى المنصة الفرعية ، حيث يتواجد أفراد المخابرات العسكرية .. وبعد إصابتهم تدافع الضباط والجنود للقبض عليهما .

« إن الجريمة وقعت من راكب العربة قاطرة المدفع قبل الأخيرة من الصف اليمين تجاه المنصة .. وأنه اتضح بعد ذلك أنهم أربعة أشخاص .

« إنه قد أطلقت النيران على الجناة خشية أن يقوموا من جانبهم باطلاق النيران من أسلحتهم .

س : كيف عرفت بتفاصيل الحادث ؟

جـ : توجهت إلى المستشفى وقمت بسؤال عبد الحميد عبد السلام الذى عرفت منه اسم حسين عباس !

كان عقيد المخابرات العسكرية يعتقد أن بعض شركاء المتهمين قد قتلوا ، وقد نقل هذا التصور إلى عبد الحميد ، الذى اعتقد أن حسين عباس قد استشهد .. فلم يجد أى حرج وهو يتحدث عنه بعد إضافة لقب (الشهيد) إلى اسمه .. وفيما بعد .. وطوال جلسات المحاكمة كان زملاء حسين ينادونه بالشهيد وهم يضحكون .

س : لماذا بدأت بعبد الحميد ؟

جـ : لأنه تعذر سؤال الآخرين لسوء حالتهما الصحية [1] !

□ □

---

(١) من المؤكد أن عقيد المخابرات الحربية سأل خالد وعطا رغم ما قرره من سوء حالتهما الصحية .. وكان سؤاله لهما قد سبق هذا التحقيق معه .

فى التاسعة والربع من مساء نفس اليوم أمر اللواء المحقق باستدعاء عبد الحميد إلى مكتبه بادارة المدعى العام العسكرى بمدينة نصر .. لكن .. عندما أكد مدير المستشفى (فى اتصال تليفونى معه) استحالة ذلك .. قرر المحقق الانتقال بنفسه إلى المستشفى .

قبل الإنتقال إلى المستشفى ، وردت تحريات جديدة تتضمن : اسم المتهم الرابع هو حسين عباس محمد .. وأنه مقيم فى مسكن بعين شمس ويتردد على بعض المحلات القريبة .. ومطلوب الآن ضبطه .

□ □

فى الساعة الرابعة من فجر الجمعة ٩ اكتوبر توجه المحقق والمدعى العسكرى إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى لاستجواب عبد الحميد .. ووقع الطبيب المعالج (على فهمى دويدار) – الجراح بالمستشفى بإمكانية الاستجواب .

وفتح المحضر ... وأثبت المحقق :

(توجهنا ... حيث توجد غرفة الانعاش (!!) التى يوجد بها المتهم .. وبمناظرته تبين أنه شاب دون الثلاثين من عمره ، حليق الشعر على النحو الذى يراعى بالنسبة لجنود القوات المسلحة .. ولاحظنا أنه راقد فى سرير .. ولاحظنا أن يديه مربوطتان بمشمع لاصق فى جانبى السرير .. [٢] وقد أبقينا السيد الطبيب السالف الذكر داخل الغرفة لملاحظة الحالة وأخرجنا كافة ضباط الحراسة [٣] وبقى فردان للأمن من الجنود .. وقد أفهمنا المتهم بمهمتنا .. ولما سألناه عما إذا كان قد وكل محاميا للدفاع عنه ، أجاب بالنفى (!!) .. وقد قرر أن ما ورد بمحضر المخابرات الذى ذيل بتوقيعه هو كلامه ... [٤]

ويقول عبد الحميد للمحقق :

* قتل السادات هو عبرة لمن يأتى بعده [٥] .
* وضعت فى خزنة البندقية ٣٢ طلقة فقط حتى لا يحدث بها عطل [٦] .
* تعرضت للتعذيب بوضع سلك كهربائى فى أذنى ثلاث أو أربع مرات (أول أمس يوم ٧ / ١٠ / ٨١) فى غرفة الانعاش وقد هددونى بوسائل أخرى [٧] .

---

(٢) الشريط اللاصق كان لربط عبد الحميد بالسرير .. وقد حدث نفس الشىء مع الآخرين أثناء وجودهما بالمستشفى .

(٣) كانت الحراسة داخل غرفة الانعاش تتولاها أكثر من جهة أمن ومن رتب مختلفة ، ولمدة ٢٤ ساعة كاملة بلا إنقطاع .. وقد سرت شائعة بأن هناك محاولة لتهريب الثلاثة من المستشفى أو قتلهم للتخلص منهم حتى لا يكشف التحقيق معهم أى شىء .. وفيما بعد ثبت عدم صحة الشائعة .. لأنه كانت ثمة حراسة مشددة قد وضعت على أبواب المستشفى وفى الأدوار المختلفة وحول المستشفى من جميع الجهات .. وقد حدث ذلك بمجرد نقل جثة السادات الى المستشفى .

(٤) لم يتردد عبد الحميد فى الافصاح عن كل ما حدث بسهولة .. ومحضر المخابرات المشار اليه حرر بمعرفة الرائد أحمد حلمى السيد فى الساعة الثالثة والنصف يوم ٨ / ١٠ / ٨١ وهو نفس اليوم الذى كان عقيد المخابرات محمد فؤاد يقف فيه أمام النيابة .. ورغم أن من المفروض حسب أقوال العقيد أنه تم فى ميعاد سابق على استجوابه .. الأمر الذى جعل الدفاع – فيما بعد – يشير الى وجود تزوير فى التقرير .. أو فى التاريخ على الأقل .. لكن المحكمه لم تأخذ بهذه الاشارة .

(٥) و (٦) و (٧) ص ١١ – ١٥ من تحقيقات النيابة العسكرية .

* أصبت بطلقات فى بطنى عند صعودى للسلم من اليمين [٨] .

ومن يطالع محضر التحقيق مع عبد الحميد ، يجد على الهامش ملاحظة من المحقق تفيد أن عبد الحميد أخطأ فى تلاوة آية من آيات القرآن الكريم وذلك كدليل على عدم علمه بالقرآن .. ولم يسجل المحقق أن هذا الخطأ يمكن تبريره بسبب الحالة الصحية التى كان عليها المتهم ، وبسبب التعذيب الذى تعرض له ، ولم يقل المحقق إن هذا الخطأ كان ضمن حديث طويل لعبد الحميد لم يلتقط فيه أنفاسه !!

□□

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر نفس اليوم .. وبعد ١٢ ساعة على فتح المحضر مع عبد الحميد ، بدأ المحقق فى استجواب عطا طايل .. وذلك بعد أن وقع محمد محمد صقر طبيبه المعالج بإمكانية ذلك .

ولاحظ المحقق أن المتهم مقيد الى سريره بقيود حديدية .. فأمر برفعها .. بعد أن قرر الطبيب أن عطا أجريت له عملية جراحية دقيقة ، لترميم ثقوب بالأمعاء الدقيقة والغليظة فى يوم الحادث .

أقر عطا بأقواله التى جاءت بمحضر تحريات المخابرات وقال :

* إنه سقط فى صندوق العربة أثناء توقفها ، وسقط تحت العجلات والبندقية بجواره وهو يقفز من العربة .. وعندما لحق بخالد عند المنصة وجد كل مقاعدها خالية .

ولما سئل عن إمكانية كشف القنابل والذخيرة قبل العملية .. قال : كان ممكنا .. لكنهم لم يحسبوا حسابا لذلك .. وكان (قدرنا بيد الله) .

ويؤكد عطا طايل : (إننا لم نوجه رصاصنا إلا للرئيس .. الرئيس فقط) .. ولأن المحقق لم يكن يعرف طبيعة التنظيم الذى كان يقف وراء المتهمين ، فقد سأل عطا عن رأيه فى جماعة (التكفير والهجرة) .. فرد : (إنها جماعة تكفر المجتمع كله ..... وأنا ضدها) !

□□

أثناء وجود طاقم التحقيق فى المستشفى قدمت المخابرات الحربية محضر تحريات مؤرخا بنفس تاريخ اليوم (الساعة العاشرة والنصف) ومكونا من ٤ صفحات فولسكاب عن خالد الاسلامبولى يتضمن اعترافا كاملا بالوقائع والأشخاص .. والغريب أن المحقق توجه لسؤال خالد بعد ذلك ، لكن الطبيب المعالج (د . أحمد عبد الله) أكد أن حالته الصحية لاتسمح باستجوابه (!) .

□□

---

(٨) قال لى عبد الحميد إن الذى أطلق عليه النار هو الرائد حمدى عبد العظيم من حرس الرئاسة وأنه عرف اسمه بعد أن توجه إليه بالمستشفى ليشكره على عدم الرد عليه واصابته رغم أن ذلك كان فى امكانه . وقد رفض عبد الحميد أن نستدعيه للشهادة للتدليل على أخلاقه وللتأكيد أن ليتهم كانت قتل السادات فقط .

فى مساء ذلك اليوم قبض على حسين عباس .. وعلى الفور حررت المخابرات الحربية محضرا أوليا بأقواله تم بمعرفة الرائد (وفائى أبو السعود) .. ولم تستطع النيابة العسكرية استجوابه إلا فى الثالثة والربع من عصر اليوم التالى .. السبت ١٠ اكتوبر ، بعد أن تعذر إحضاره فى الصباح بسبب اجراءات الأمن الخاصة بجنازة السادات .

أمام النيابة بدا حسين محاصرا بالحرس .. وقد وضعت أربطة طبية على جبينه ورأسه ، قرر أنها نتيجة ضربات قوات الأمن التى انهالت عليه بعد أن قاومها .

والغريب أن حسين كان يتحدث عن عطا باعتباره شهيدا .. (لأننى رأيت صورته فى إحدى الصحف وهو مصاب وملقى على الأرض) .. أما خالد فكان يقول عنه (أخونا خالد) .

وقد رفض حسين وصف ما حدث بأنه جريمة .. (اغتيال الظالم ليس جريمة) .. وبعد أن كرر سرد ما حدث .. قال : إن خالد تسلم منه السلاح لشعوره بتعب .. وأنه مشى وسط الجماهير بتكاء عادى حتى وصل إلى مبنى الجهاز المركزى للإحصاء) وهناك استقل وسيلة مواصلات (أتوبيس ، منزله .

□□

حتى ذلك الوقت لم يكن هناك ما يشير إلى وجود شريك آخر للأربعة .. ولم يكن هناك ما يشير إلى وجود تنظيم وراءهم .. وحتى ذلك الوقت لم تكن تحريات أجهزة الأمن (بما فيها مباحث أمن الدولة) قد وصلت الى شىء .. لكن .. ما إن استقرت الأمور حتى خرج نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية اللواء النبوى اسماعيل ، يعلن أنه حذر الرئيس الراحل من مؤامرة تحاك لاغتياله وأنه عرض عليه الدليل مسجلا على شريط فيديو .. لكن الرئيس لم يأخذ بنصائحه ..

وفيما بعد .. وأثناء محاكمة تنظيم الجهاد ، ثبت أن هذا الشريط لشخص آخر بعيد تماما عن أولئك الأربعة .. وقد رفضت المحكمة الأخذ بهذا الدليل .. واعتبر — مثل الاستفتاءات التى اشتهر بها — وهما .

□□

فى الساعة الرابعة والثلث من مساء يوم ١١ اكتوبر تمكنت النيابة العسكرية من استجواب خالد بغرفة الإنعاش .. كان خالد مربوطا من يديه بأربطة طبية مثبتة فى جانبى السرير .. وعلى هذا الوضع راح يلقى باعترافاته .. وفى هذه الاعترافات جاءت أول إشارة إلى محمد عبد السلام فرج .. الذى قال عنه أنه تعرف عليه قبل ٦ شهور فقط أثناء بحثه عن شقة للزواج .. وأنه عرض عليه استغلال اشتراكه فى العرض لعمل شىء !

س : لماذا عرضت الفكرة على محمد عبد السلام فرج ؟

ج : لأنه فقيه .. عنده علم بالأمور الدينية وربنا فاتح عليه ويعتبر عالم وكنت أستريح له ..

وقد استشفيت ذلك من خطب الجمعة والدروس الدينية التى كان يلقيها ..... وأظن أنه موظف فى جهة ما لا أعرفها لأننى سمعته يتكلم فى المرتبات .. ولا أعرف صلة عبد الحميد ولا حسين عباس به أما عطا طايل فأظن أنه بلدياته .

س : ماذا كان قصدك من وراء عملية الاغتيال ؟

جـ : كان هدفى ردع أى حاكم لا يلتزم بكتاب الله .. وكل واحد يأتى بعده يرتدع ويأخذ عبرة !

س : ألم يكن هناك احتمال بفشل العملية ؟

جـ : أنا مكنتش حاطط خطة بديلة لتنفيذها . مكنتش حاطط نسبة للفشل فى الخطة ، لأنى عارف إيه اللى بيحصل فى العرض ، وأنا اشتركت قبل كده مرتين فى العرض .. ولا أعرف عناصر أخرى تقوم بالتنفيذ فى حالة فشلى .

س : هل فكرت بالهروب ؟

جـ : لا ... لم يكن هناك احتمال فى الأصل للهروب [٩] .

ويقرر خالد إن اغتيال السادات ليس بداية لانطلاق أحداث أخرى فى نفس الاتجاه ... وأكد : (ليس لى من يتبعنى) !

وتنتهى ردود خالد على استجواب المحقق العسكرى .

وهكذا .. يكون التحقيق قد انتهى مع المتهمين الأربعة .. فماذا حدث مع المتهم الخامس .. محمد عبد السلام فرج ، الذى لم ترد إشارة عنه إلا فى أقوال خالد !

□□

فى ١٥ اكتوبر ١٩٨١ أخطر المدعى العام العسكرى بضبط محمد عبد السلام فرج ، قبل يومين ، بقرية (الطود الجنوبى) – محافظة (البحيرة) .

وفى الساعة الحادية عشرة والربع من صباح نفس اليوم استدعى محمد عبد السلام الى مقر النيابة العسكرية وبدأ استجوابه .. وكان هذا الاستجواب سلسلة من الإنكار .. فقد أنكر محمد عبد السلام أنه يعرف خالد .. وأنكر أنه يعرف الثلاثة الآخرين .. وأنكر صلته باغتيال السادات .. وعندما واجهه المحقق بأقوال خالد واعترافه عليه .. قال : (الله أعلم) .. وعندما سئل عن شخص يدعى (الزمر) قال : إنه يسمع عن عائلة اسمها (الزمر) !

وذهب محمد عبد السلام إلى أبعد من ذلك .. وذهب إلى استنكار قتل السادات .. لكن .. عندما سأله المحقق : (هل قتل السادات مظلوما ؟) أجاب : (الله أعلم .. وقد يكون فى هذه الواقعة ظلم

---

(٩) حدد خالد كيفية تنفيذ الخطة فقال : (أنا أرمى قنبلة يدوية بمجرد نزولى من العربة والثانية وراها على طول وعبد الحميد يضرب واحدة من العربة والرابعة للدفاع ثم نتقدم ، عبد الحميد وعطا من جهة اليمين بالنسبة لنا وأنا فى المنتصف وحسين فى الشمال) .

ولكن مرتكبيها قد يكونون متأولين) .. أى يجوز أنهم قرأوا أو استدلوا على أنه حلال قتل السادات .. لكنه أضاف : أما فى منهاجى وشرعى فإن ماحدث حرام !

أكثر من ذلك أعلن محمد عبد السلام أنه مستعد أن يواجه خالد ورفاقه بكل ما قالوه !

وقبل أن يكمل المحقق .. طلب محمد عبد السلام توكيل محام .. وحدد اسم المحامى .....وعنوانه واستجيب لطلبه .. وفى فجر اليوم التالى (١٦ اكتوبر) كانت هناك قوة من الأمن تطرق باب المحامى ... وتقبض عليه !

فى مساء اليوم التالى .. بالضبط فى تمام الساعة السابعة مساء عرض على النيابة محضر مؤرخ ١٥ اكتوبر ١٩٨١ ، تضمن أقوال محمد عبد السلام فرج أمام رائد المخابرات الحربية أحمد حلمى وبعد قليل ..... كان فى الطريق إلى النيابة محضران آخران بأقوال إضافية .. وفى هذه المحاضر الثلاثة سجل محمد عبد السلام اعترافاته التفصيلية .. اعترف بزيارة خالد .. وتدبير الأسلحة والذخيرة .. وكيفية الحصول على القنابل .. وذكر لأول مرة اسم كل من نبيل المغربى وعبود الزمر وطارق الزمر .. وهكذا .. جاءت « قدم » ما أسمى بتنظيم الجهاد فى القضية .. خالد يشير الى عبد السلام فرج .. وعبد السلام فرج يشير الى أقطاب التنظيم .. ومن السهل بعد ذلك أن نفسر لماذا تضاعف عدد المتهمين فى قضية اغتيال السادات وزادوا بكثير عن عدد المنفذين المباشرين ؟ !

على أن محمد عبد السلام فرج عاد – أمام النيابة العسكرية يوم ١٧ اكتوبر – وأنكر هذه الاعترافات .. نفى كل ما جاء فى أوراق المخابرات العسكرية جملة وتفصيلا .. وقال ببساطة : ان هذه الأقوال أمليت عليه تحت وطأة التعذيب الشديد .

وكان التعذيب واضحا عليه .. وقد استمر ذلك التعذيب فيما بين مرحلة عرضه على النيابة العسكرية .. ونيابة أمن الدولة .. وتنقله بين السجون .. استمر التعذيب حتى مثل من جديد أمام اللواء مختار شعبان .. وقال له :

* (أنا استخرت الله عز وجل فشرح صدرى لأن أتكلم وأشرح موقفنا الشرعى وأثبت أننا دعاة حق) !

ثم فجر ... قنبلة دوت فى أرجاء التحقيق ..

قال :

* أنا المشارك الرئيسى فى عملية اغتيال الرئيس !

س : لماذا ؟ لماذا اعترفت الآن ؟ !

جـ : لأن الأمر أصبح أمرا واضحا للجميع وأنا لا أتنكر منه بعد أن اتضح للجميع !

لماذا أنكر محمد عبد السلام فرج .. وأصر على إنكاره ٣ أسابيع رغم المهانة والتعذيب ، ثم عاد واعترف ؟

هل كان يخشى من نهاية مأساوية تقضى على الجماعات الإسلامية التى كان أول من ساهم فى قيامها وهو طالب .. ورعاها بعد تخرجه ودعمها بعد تعيينه فى إدارة الجامعة وأصبح قريبا من الطلاب ؟

لقد قيل إن كل خيوط الجماعات الاسلامية – على مستوى البلاد – كانت تتجمع فى يده .. وإنه نصح بأن يحافظ على حياته ! ويعترف .. وكفى تعذيبا :

وقيل إنه انتظر زحف الجماعات الإسلامية من أسيوط إلى القاهرة بعد يوم ٨ اكتوبر .. وعندما لم تأت أحس باليأس [١٠] !

هل كان الإصرار على الإنكار ينجيه .. أم أنه لم يجد فائدة من الإنكار ؟

من الناحية القانونية لم يكن مؤكدا أن الإنكار ينجيه .. فالغالب أن المحكمة كانت ستأخذ باعتراف خالد ورفاقه عليه .. (خاصة أن هذه المحكمة ، محكمة عسكرية .. استثنائية .. وعليا)

وربما كان السبب .. أن كثيرين عابوا عليه إنكاره وكذبه وهو رجل مسلم ، يتمسك بإسلامه .. وداعية وخطيب ومفسر .

وربما يكون قد استند فى موقفه إلى سند شرعى يبيح له ما فعله ، طالما يحقق له ذلك النجاة !

إن أحدا لم يعرف حتى الآن سر هذا الموقف الإنقلابى لمحمد عبد السلام .. وحتى أعدم لم يكشف هذا السر بنفسه لأحد .. لكن .. من المؤكد أنه كان – طوال المحاكمة – رابط الجأش .. قليل التأثر .. وكان أكثر المتهمين هدوءا واتزانا وتفكيرا .

□□

كان من السهل بعد اعترافات محمد عبد السلام فرج أن تمتد ذراع التحقيق إلى الآخرين من أعضاء تنظيم الجهاد .. بل .. وأن تمتد الذراع إلى عائلاتهم .. فقد قبض على شقيقة خالد التى كان يقيم عندها (زوجة حامد سعد رشوان) وقبض على زوجة عبد الحميد ، وعلى زوجة محمد عبد السلام .. وتحفظ عليهن فى أماكن خاصة لا يدخلها الرجال .....

وهكذا ...

اتسع نطاق القضية .. وتضخمت أوراقها .. وبدت أكبر من أن تكون قضاء وقدرا !

---

(١٠) بعد اغتيال السادات ترك محمد عبد السلام فرج القاهرة وسافر إلى قريته التى قبض عليه فيها .. ولم يثبت أنه سافر إلى أسيوط قبل الأحداث الشهيرة التى وقعت هناك يوم ٨ اكتوبر – صباح يوم عيد الأضحى .. كما إنه لم يعد إلى القاهرة إلا مكبلا بالأصفاد .